زبيد مطلب الناشد، ومعلم الراشد، فتهادينا تحية المحبين إذا التقيا
بعد البين، ثم تباثثنا الأسرار، وتناثثنا الأخبار، وبعيري ينحط
من الكلال، وراحلته تزف زفيف الرئال، فأعجبني اشتداد
أسرها، وامتداد صبرها، وأخذت أستشف جوهرها، وأسائله
من أين تخيّرها، فقال: إن لهذه الناقة خبرًا حلو المذاقة، مليح السياقة،
فإن أحببت استماعه فأنخ، وإن لم تشأ فلا تنصخ، فأنخت لقوله
نضوي، وأهدفت السمع لما يروي، فقال: اعلم أني استعرضتها
بحضرموت، وكابدت في تحصيلها الموت، ولم أزل أجوب عليها
البلدان، وأطيش بأخفافها الظّران، إلى أن وجدتها عبر أسفار،
وعدة فرار، لا يلحقها العناء، ولا تواهقها وجناء، ولا تدري ما الهناء،
فأرصدتها للخير والشر، وأحللتها محل البر السر، فاتفق أن ندّت منذ مدة،
وما لي سواها قعدة، فاستشعرت الأسف، واستشرفت التلف،
ونسيت كل رزء سلف، فمكثت ثلاثًا لا أستطيع انبعاثًا، ولا أطعم
النوم إلا حثاثًا، ثم أخذت في استقراء المسالك، وتفقد المسارح
والمبارك، وأنا لا أستنشي منها ريحًا، ولا أستغشي يأسًا مريحًا،

وكلما

وكلما ادّكرت مضاءها في السير، وإبراءها المبارزة الطير، لاعني
الادّكار، واستهوتني الأفكار، فبينا أنا في حواء بعض الأحياء،
إذ سمعت من شخص متبعد، وصوت متجرد، يقول: من ضلّت له
مطية حضرمية، وطية جلدها قد وسم، وعرها قد حسم، وزمامها قد
ظفر، وظهرها قد كسر، ثم جبر، تربي الماشية، وتعين الناشية،
وتقطع المسافة النائية، وتطل الأكم مدانية، لا يعتورها
الونى، ولا يعترضها الوجا، ولا تحوج إلى العصا، ولا تعصي فيمن عصى،
قال أبو زيد: فجذبني الصوت إلى الصائت، وبشرني بدرك الفائت،
فلما أفضيت إليه، وسلمت عليه، قلت له: سلم المطية، وتسلم العطية،
فقال: وما مطيتك، غفرت خطيتك، فقلت: ناقة جثتها كالهضبة،
وذروتها كالقبة، وحلبها ملء العلبة، وكنت أعطيت بها عشرين،
إذ حللت بيبرين، فاستزرت الذي أعطى، ودريت أنه أخطا،
قال: فأعرض عني حين سمع صفتي، وقال: لست بصاحب لقطتي،
فأخذت بتلابيبه، وأصررت على تكذيبه، وأخذت بتمزيق جلابيبه،
وهو يقول: يا هذا، أما مطيتي بطلبك، فاكفف عني غربك، وعدّ عن سبّك